قبل أن تقرأ الكتاب

ما معنى أن يسأل إنسان ما سؤالاً؟

دعك مما تعودناه من وظيفة الأسئلة التي يوجهها المعلمون إلى الطلاب في الامتحانات، فهي لا تعبر عن جهل الذي يطرح السؤال بالإجابة عنه، وإنما هي وسيلة للوقوف على مدى معرفة الطالب لهذه الإجابة. لكن الوظيفة الشائعة للسؤال هي أن يسد ثغرة في بناء المعرفة لدى السائل، وأن هناك منطقة مظلمة في عقله، يريد بالحصول على الإجابة عليها أن ينيرها. فإذا ما حصل السائل على إجابة السؤال، فإنه يكون قد أضاف إلى بنية المعرفة جديدًا كان يجهله[١].

وقد ظهر في فكرنا التربوي والإسلامي مؤلفات عدة تقوم على فلسفة طرح الأسئلة وإجاباتها؛ ومن ذلك هذا الكتاب الفريد في نوعه حقًّا في تاريخ الفكر المعنون بـ (الهوامل والشوامل)، والذي يدور حول مجموعة أسئلة بلغت مائة وخمسة وسبعين سؤالاً، طرحها أبو حيان التوحيدي على ابن مسكويه، وقد استعار أبو حيان كلمة الهوامل لأسئلته المبعثرة التي تنتظر الجواب، واستعمل مسكويه كلمة الشوامل في الإجابات التي أجاب بها؛ فضبطت هوامل أبي حيان[٢].

والمفروض في السؤال أنه بحث عن المعرفة، وهو في مجال التعليم والتعلم، يُعدُّ أسلوبًا على درجة عالية من القيمة التربوية؛ لأنه يدفع طلاب العلم والمعرفة أن يشحذوا أذهانهم لاقتحام منطقة مجهولة من المعرفة، والربط بين الجزئيات، والبحث عن الحكم والغايات والدوافع[٣].

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم، وتتبعنا مادة سأل ومشتقاتها في آياته الكريمة لوجدنا أنها ذُكرت في القرآن مائة وتسع وعشرين مرة[٤].

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي مليكة: "**أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِي كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ**"[٥].

فمن خلال طرح الأسئلة تتحقق فائدتان: الأولى، للعالم نفسه؛ إذ إنه يظهر علمه ومعرفته وثقافته، والثانية، للمتعلم؛ إذ يُتاح له أن يعرف ما يجهله؛ فتزداد كذلك دائرة علمه.

والأمر بالنسبة للسؤال في مجال البحث العلمي لا يقل عن ذلك أهمية؛ فأن يسأل الباحث، فإن هذا يعني أنه يجد نفسه أمام منطقة مجهولة من المعرفة يريد أن يبدد ظلماتها، أو أن هناك ثغرة في بنية المعرفة يهمه أن يسدها، بما يعني إضافة معرفية إلى عقله، ونموًا في تفكيره[٦].

وهكذا يأتي كتابنا الحالي في هذا السياق معنونًا بـ (١٠٠٠ سؤال وجواب في البحث العلمي)؛ تعبيرًا عن الدور الرئيس لطرح الأسئلة في بناء عقل الباحث ونموه ونضجه الفكري والعلمي.

ويرى أحمد المهدي عبد الحليم (١٩١٩م- ٢٠١٤م) – أحد كبار أعلام التربية في مصر – أن ملاحظاته الطويلة للباحثين وللبحوث التي يضطلع بها الطلاب للحصول على درجات علمية، وللبحوث التي يقدمها أعضاء هيئة التدريس للترقية، تكشف على أن ثمة التباسًا في أذهان الباحثين على طبيعة ما اتفق على تسميته "بحثًا"، ويتجلى هذا الالتباس أوضح تجلية فيما يقولون عن مشكلة البحث، حيث يحدث خلط كبير بين مشكلة البحث، والغاية منه، ومنهجه، وأداواته[٧].

ومن ثم، فمن الملاحظ أن كثيرًا من طلاب الدراسات العليا يواجهون توترًا وقلقًا وسوء فهم واضح في بداية مشوارهم العلمى فى كتاباتهم البحثية سواء فى مرحلة الماجستير أو مرحلة الدكتوراه.

فليس فى وسع الباحث أن يفلت من الورطة الواضحة قصيرة المدى التى تتمثل فى اختيار الموضوع المناسب، أو وضع عنوان علمى جذاب لرسالته، فضلاً عن المعضلة الغامضة بعيدة المدى التى تتمثل فى تطبيق الأسلوب العلمى لاكتشاف إجابات رصينة عن عدة أسئلة بحثية أو التمييز بين مصطلحات متداخلة ومتشابكة فيما بينها يستخدمها فى رسالته.

ومن الملاحظ أن الباحث – غالبًا – يحاول أن يتصف بالتفكير العقلانى فى مواجهة هذه الأفخاخ؛ فيختار رسالة واحدة أو رسالتين على الأكثر ليسير على الطريق ذاته، دون امتلاك القدرة على التمييز بين الغَثّ والسمين منها.

ومع غياب المعايير الواضحة فى الكتابة العلمية – في بعض كلياتنا - يُواجه الباحث بالتناقض والتعارض بين ما تسير عليه هذه الدراسة وما تتبعها تلك

الدراسة، ويترتب على ذلك تكرار الأخطاء، لتصبح فيما بعد العُرف السائد لدى هؤلاء الباحثين، وتظهر هذه المشكلة – بصورة واضحة – عندما تدور المناقشة بين الأستاذ المشرف والطالب حول طريقة معالجة فكرة ما أو محور أو وجود خطأ علمي ما فى رسالته، فيتجلى فى ذهن الطالب التبرير- المعروف - بأنه وجدها هكذا فى رسالة فلان، أو لأن الصديق فلان نصحه بها، دون أن يقدم له أى سند علمى.

وعلى النقيض من ذلك تمامًا، فعلى صعيد النشر العالمى، فأول ما يقوم به الباحث للنشر فى القواعد العالمية للبحث العلمى على سبيل المثال: Springer أو ScienceDirect أو Elsevier هو قراءة دليل الكتابة فى هذه القواعد؛ ليتم الاسترشاد بها أثناء الكتابة، واتباع قواعدها بكل دقة لكى يتم قبول نشر البحث بها. أما إذا لم يتم تطبيق أسلوب الكتابة الخاص بالناشر تصبح مسألة رفض البحث حتمية لا جدال فيها، حتى وإن تضمن البحث أفكارًا جيدة.

ولهذا جاءت فكرة الكتاب الحالي ليتناول الموضوعات المهمة فى كتابة وإنتاج وإخراج البحث العلمى على شكل أسئلة وإجابات موجزة، حيث توجد قناعة لدى المؤلفين بأنه من الأهمية بمكان اتباع قواعد علمية واضحة فى الكتابة البحثية تكون فى إطار إرشادى يساعد على نجاح الباحث فى التجربة العلمية.

ويقدم الكتاب الحالي أسئلته وإجاباته فى كتابة البحث العلمى وفقًا لأجزاء الرسالة العلمية بدءًا من الغلاف والشكر والإهداء والمستخلص والفهارس وغيرها مرورًا بمتن الرسالة البحثية والجداول والأشكال التوضيحية وانتهاءًا بمراجع الرسالة وملاحقها؛ ليكون الكتاب عونًا للباحث من أول خطواته فى كتاباته البحثية إلى نهايتها.

ولا تقتصر أهمية الكتاب في كونه يبين المعايير العلمية التى تساعد الباحث على النجاح فى الكتابة البحثية، ولكن أيضًا في طريقة تقديم ذلك على صورة سؤال وجواب؛ يعين الباحث على الوصول لمبتغاه سريعًا؛ فبمجرد أن ينتاب الباحث حيرة حول سؤال معين يذهب إلى فهرس الكتاب ليجد ضالته مباشرة دون الدخول فى تفاصيل أخرى أو البحث بين سطور الكتب للوصول إلى إجابة، فبدلاً

من قراءة فصل فى كتاب للتعرف على كيفية كتابة الأسئلة البحثية يعالج هذا الكتاب تلك الجزئية فى أسئلة قصيرة ومحددة، وبالتالى يمكن تحقيق الاقتصاد فى الوقت والجهد المبذول من الباحث فى الكتابة العلمية.

وعلى الرغم من كون الكتاب مفيدًا لكل أنواع الكتابات البحثية سواء الإنسانية أو العلمية، إلا أنه تظهر أيضًا أهمية الكتاب الحالي لكونه محاولة– لم تتم من قبل على حد علم المؤلفين - لتقديم دليل استرشادى شامل ومتكامل يستوعب كل ما يتعلق بإشكالية البحث العلمي على هيئة أسئلة وأجوبة.

ومن ثم يأتي الكتاب الحالي لمحاولة تعبيد الطريق أمام الباحثين الجدد، والأخذ بهم للعودة للطريق الصحيح في ضوء ما يعانيه البحث العلمي من تهرء، وذلك من خلال القيام بعملية تأسيسية ومنهجية لهم؛ عن طريق ما تم رصده من معلومات رئيسة في بنية البحث العلمي.

ولذا يرمي الكتاب الحالي إلى جعل عملية البحث العلمي أكثر منهجية ويسرًا للباحثين الجدد الذين يجدون العديد من الكتب التي تحمل عنوان "مناهج البحث"، وما يتبع هذا العنوان الرئيس من عناوين فرعية.

وبالتالي يجد الباحث نفسه أمام العديد من الكتابات متنوعة القناعات والأفكار والخبرات؛ مما يجعله في حالة من التشوش وخاصة في غياب "الأب العلمي"؛ أي "المشرف الأب"؛ لذا جاء الكتاب محاولاً وضع العديد من الاجتهادات والخبرات والأفكار المتعلقة بالعملية البحثية في بوتقة واحدة مع التقريب بينها؛ الأمر الذي يجعل الباحثين، وخاصة الجدد مطلعين على أفكار وقواعد منهجية واحدة.

ويسعى الكتاب الحالي كذلك إلى التطرق إلى العديد من المهارات التي يمارسها الباحث دون تنظير أو تأسيس معرفي؛ على غرار التقليد أو ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢).

وتم استخدام صيغة السؤال والجواب؛ للعمل على تركيز الأفكار مع اختصار العديد من التفاصيل، بحيث يكون التناول أكثر دقة ومحورية وإجرائية، حتى يأتي

التطبيق من قبل الباحثين أكثر منهجية ويسرًا. فمن مميزات هذه الطريقة تكثيف الأفكار وبلورتها في صيغة نقاط محددة وواضحة.

وقد اجتهد المؤلفون اجتهادًا ملحوظًا فى البيان المختصر للمدارس العلمية المختلفة عند الإجابة عن سؤال معين – من باب الأمانة العلمية –، ثم بيان أفضلها وأنسبها وأكثرها قبولاً فى الكتابة العلمية والرسائل البحثية.

ولقد حاولنا كفريق، أن يكون عملنا جمعيًا؛ بصورة يصعب على القارئ أن ينسب فيها العمل إلى (أ) أو (ب) أو (ج) من الناس؛ لأنه سيجد نفسه بالفعل أمام عمل جماعي يحكمه الاتساق ووحدة الهدف، وإن تباين في الأسلوب ووسائل المعالجة والتناول. فالأسئلة التي يدور حولها العمل الحالي لا أحد يعرف بالضبط هل هي نتيجة تفكير هذا الزميل أو ذاك؟ وإنما هي تكون بالفعل ما أسماه علم الاجتماع بـ (العقل الجمعي)، فلقد دارت مناقشات وجرى حوار، إلى أن استقر الرأي على الصورة الحالية[٨].

وعلى الرغم من اختيارنا هذا المنحى في عرض إشكاليات البحث العلمي القائم على الأسئلة والأجوبة، فإن هذا لم يكن يعني - بأي حال من الأحوال - أن يغيب عن أذهاننا أهمية القراءة التفصيلية المتعمقة لكل نقطة تمت معالجتها، ولكن نبع منطلقنا من أهمية وجود أساس وخلفية محكمة لدى كل باحث، ثم تأتي المراحل الأخرى للكتب الأكثر تخصصًا – إن قام بها بالفعل ولم يكتف بهذه المرحلة – لتعميق ما رسخ في ذهنه.

ومن الملاحظ كثرة المؤلفات التي تدور حول البحث العلمي، ولكن هل يملك الباحث المبتدئ الأدوات والمهارات التي تمكنه من التعامل مع هذه المؤلفات، وحسُن فهم المراد منها، وإمكانية القراءة لها؛ ليستطيع أن يتعامل بطريقة علمية صحيحة مع بحثه؟

ويكشف الواقع والخبرة والمعايشة عن ضعف همة بعض الباحثين في قراءة هذه المؤلفات، والاقتصار على ما يقوم به مشرفوهم من عمليات إرشاد وتوجيه، ومن ثم تأتي المحاولة الحالية، والتي اعتمدت على سنوات عديدة من التتلمذ على يد أساتذة ثقات، ثم سنوات أخرى من خبرات الإشراف على الباحثين،

وأخيرًا الحفر المعرفي في بطون هذه المؤلفات وغيرها وبين سطورها للتوصل إلى أفضل الأجوبة؛ ليجد الباحث خلاصة السؤال الذي عنَّ له في ذهنه، بعبارات محكمة الصياغة والبناء.

وإذا كان من السهل على الباحث معرفة خطوات البحث العلمي لإنجاز بحثه، وذلك لسهولة معرفة وجوب وجود: مقدمة، وإشكالية، وفرضيات، ومنهج، وأدوات، وخطة بحث؛ وأن يكون بحوزته مادة نظرية إن كانت طبيعة البحث نظرية، ومادة نظرية وميدانية إن كانت طبيعة البحث نظرية وميدانية، غير أنه لا يكفي فقط إنجاز البحث معرفة المنهجية النظرية، أي معرفة ما يجب وجوده فقط؛ ولكن يجب كذلك معرفة كيفية إيجاد ما يجب وجوده، ويتم ذلك عن طريق أخذ تدريبات في تقنيات منهجية البحث العلمي[٩].

ولعل الكتاب الحالي قد يكون محاولة على هذا الطريق الشائك والشائق والشيق؛ ألا وهو طريق البحث العلمي.

نسأل الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا بعض الشيء في الوفاء بالمقصود من العمل العلمي الحالي، **كما نسأله أَن يجعل العمل الحالي في ميزان حسنات كل من شارك فيه، وكل من قرأه، وكل من أعدَّ له، وكل من اجتهد في تصويب ما قد يكون فيه من ثغرات.**

السويس في:

١٥ من ربيع أول ١٤٣٩هـ

٣ من ديسمبر ٢٠١٧م

المؤلفون

المراجع

١- سعيد إسماعيل علي: التعليم الذي نريد، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٥.

٢- ـــــــــــــــــ: أعلام تربية في الحضارة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٠.

٣- ـــــــــــــــــ: القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٩٣.

٤- انظر:

- محمد إسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٢٨.
- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٤١٣- ٤١٥.

٥- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: صحيح البخاري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ٢٠٠٤م، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه، ح (١٠٣)، ص ٢٣.

٦- سعيد إسماعيل علي: أعلام تربية في الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ص ٢٣٠- ٢٣١.

٧- أحمد المهدي عبد الحليم: "السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي"، إسلامية المعرفة، س (٨)، ع (٢٩)، المعهد العالمي لفكر الإسلامي، بيروت، صيف ٢٠٠٢م، ص ٩٤.

٨- حسان محمد حسان وآخرون: دراسات في المدرسة والمجتمع، سعيد إسماعيل علي (محرر)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٥.

٩- رشيد زرواتي: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية: أسس علمية وتدريبات، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٧.